المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

تقييم حالة | 29 كانون الثاني/ يناير، 2024

قراءة في نتائج استطلاع الرأي العام العربي نحو الحرب الإسرائيلية على غزة

حارث حسن

قراءة في نتائج استطلاع الرأي العام العربي نحو الحرب الإسرائيلية على غزة

سلسلة: تقييم حالة

29 كانون الثاني/ يناير، 2024

حارث حسن

باحث مشارك في المركز العربي، عمل باحثًا غير مقيم في مركز مالكولم كير- كارنيغي الشرق الأوسط، وباحثًا مقيمًا في كل من جامعتي أوروبا الوسطى وهارفارد. يحمل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية والماجستير في الاتصال السياسي، وله العديد من الدراسات والبحوث المنشورة في المجلات الأكاديمية العربية والإنكليزية. تتركز اهتماماته البحثية على قضايا الدولة وعلاقتها بالمجتمع، والهوية، والتنمية

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2024

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات مؤسّسة بحثيّة عربيّة للعلوم الاجتماعيّة والعلوم الاجتماعيّة التطبيقيّة والتّاريخ الإقليميّ والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاثٍ فهو يولي اهتمامًا لدراسة السّياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربيّة أو سياسات دوليّة تجاه المنطقة العربيّة، وسواء كانت سياسات حكوميّة، أو سياسات مؤسّسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربيّة بأدوات العلوم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتاريخيّة، وبمقاربات ومنهجيّات تكامليّة عابرة للتّخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قوميّ وإنسانيّ عربيّ، ومن وجود سماتٍ ومصالح مشتركة، وإمكانيّة تطوير اقتصاد عربيّ، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامجَ وخططٍ من خلال عمله البحثيّ ومجمل إنتاجه.

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات

شارع الطرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الظعاين، قطـر

هاتف: 40354111 974 +

www.dohainstitute.org

المحتويات

أولًا: تأكيد مركزية القضية الفلسطينية 1

ثانيًا: تنامي رفض السلام والتطبيع مع إسرائيل 5

ثالثًا: تصاعد الموقف السلبي من الولايات المتحدة 6

خاتمة 8

نفّذ المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات استطلاعًا في ست عشرة دولة عربية للوقوف على اتجاهات الرأي العام العربي نحو الحرب الإسرائيلية على غزة. وقد التزم الاستطلاع بالمعايير العلمية المعتمدة، ومثّل فرصة فريدة لتفحّص أثر الحرب في مواقف مواطني الدول العربية، ومقارنتها بنتائج استطلاعات سابقة نظّمها المركز، كان آخرها عام 2022. ومن المهم ملاحظة ندرة الاستطلاعات العلمية التي تتمتع بالدقة والصدقية في العديد من بلدان المنطقة، ومحدودية تلك التي تشمل معظم البلدان العربية، الأمر الذي يعطي قيمة إضافية لهذا الاستطلاع بوصفه فرصة نادرة نسبيًا لاستكشاف اتجاهات الرأي العام في المنطقة. وتقدّم هذه الورقة قراءة تحليلية لنتائج الاستطلاع، عبر رصد الأنماط العامة التي كشف عنها ومحاولة دعمها بالتفسيرات، واستكشاف العلاقات فيما بينها وأثرها المحتمل.

أولًا: تأكيد مركزية القضية الفلسطينية

عند قراءة نتائج الاستطلاع يمكن الخروج باستنتاج أول، وهو أنه يعكس جليًّا وجود رأي عام عربي يتجسد في شكل مواقف ومتبنَّيات وعواطف متشابهة، بغضّ النظر عن الاختلاف بين بلدان المنطقة، وظروفها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية. وقد لا تبدو هذه الحقيقة جديدةً لمن اطّلع على الاستطلاعات السابقة، إلّا أنها تتكشف على نحو أكثر كثافة عندما يتصل الأمر بالقضية الفلسطينية، حيث يغدو «الإجماع» الشعبي شديد الوضوح، ولا يصبح للخلافات البينية أهمية كبيرة. ويمكن تبيّن ذلك بملاحظة محدودية التباين في المواقف تجاه الأسئلة المطروحة، حيث لا توجد أيّ حالة ظهر فيها أنّ أغلبيةً في بلدٍ من البلدان التي شملها الاستطلاع قد صوّتت على نحو مناقض للمعدل العام، في حين ظلّت الفجوات محدودةً بين البلد ذي النسبة الأعلى والبلد ذي النسبة الأقل في الموقف تجاه إحدى القضايا المطروحة. على سبيل المثال، بخصوص السؤال حول مدى شعور المستجيبين بالضغط النفسي من جراء الحرب على غزة، قال 84% من المستجيبين إنّهم يشعرون بهذا الضغط إلى درجة كبيرة، وكانت النسبة الأعلى في ليبيا (95%)، أي بفارق 11 نقطة عن المعدل العام، والنسبة الأدنى في الضفة الغربية في فلسطين (67%)، أي بفارق 17 نقطة عن المعدل العام. وفي حالات أخرى، كان التباين يعود إلى رغبة المستجيبين في التعبير عن موقف سياسي، أو بسبب اختلاف طريقة فهمهم السؤال، كما في الإجابة عن السؤال عن مواقفهم من اعتبار القضية الفلسطينية قضية جميع العرب، حيث كان المعدل العام لمن أجابوا بالإيجاب هو 92%، وهو أعلى من المعدل الذي سُجّل في استطلاع عام 2022 والذي بلغ 76%، وجاءت النسبة الأعلى في ليبيا واليمن (97%)، والنسبة الأقل في الضفة الغربية (67%). ومع ملاحظة أنّ النسبتين تشكّلان الأغلبية في العينات المستطلعة في ليبيا واليمن والضفة الغربية، فمن المحتمل أنّ كون النسبة في الضفة أقل من المعدل العام هو تعبير عن شعور بالإحباط من مواقف الحكومات العربية، أو الرغبة في رؤية دعم عربي أكبر.

وعبّرت نتائج الاستطلاع عن أنّ الحرب الإسرائيلية على غزة قد عمّقت من موقف التضامن الشعبي العربي مع الشعب الفلسطيني، وأسهمت في إعادة مركزية القضية الفلسطينية بعد الجهد الذي جرى في السنوات الأخيرة لتهميشها في أجندة السياسة الإقليمية. ففي حين قالت أغلبية ساحقة إنّ القضية الفلسطينية هي قضية جميع العرب (92%) ، فإنّ هذا الموقف أشار إلى صعود لافت في بعض البلدان، حيث ارتفعت النسبة في السعودية من 69% في استطلاع عام 2022 إلى 95% في استطلاع الحرب على غزة، وفي السودان من 68% إلى 91%، وفي المغرب من 59% إلى 95%، وهذه النسب لها أهمية خاصة إن أخذنا في الاعتبار أنّ الإدارة

الأميركية كانت قد كثّفت جهودها لتطبيع العلاقات بين السعودية وإسرائيل في الأشهر الأخيرة، وأنّ السودان والمغرب قد دخلا موجة التطبيع الأخيرة مع إسرائيل التي أطلقتها ما تُسمى الاتفاقات الإبراهيمية.

الشكل (1)

مواقف الرأي العام العربي من اعتبار القضية الفلسطينية قضية جميع العرب، أو قضية الفلسطينيين فقط، في استطلاعات المؤشر عبر السنوات

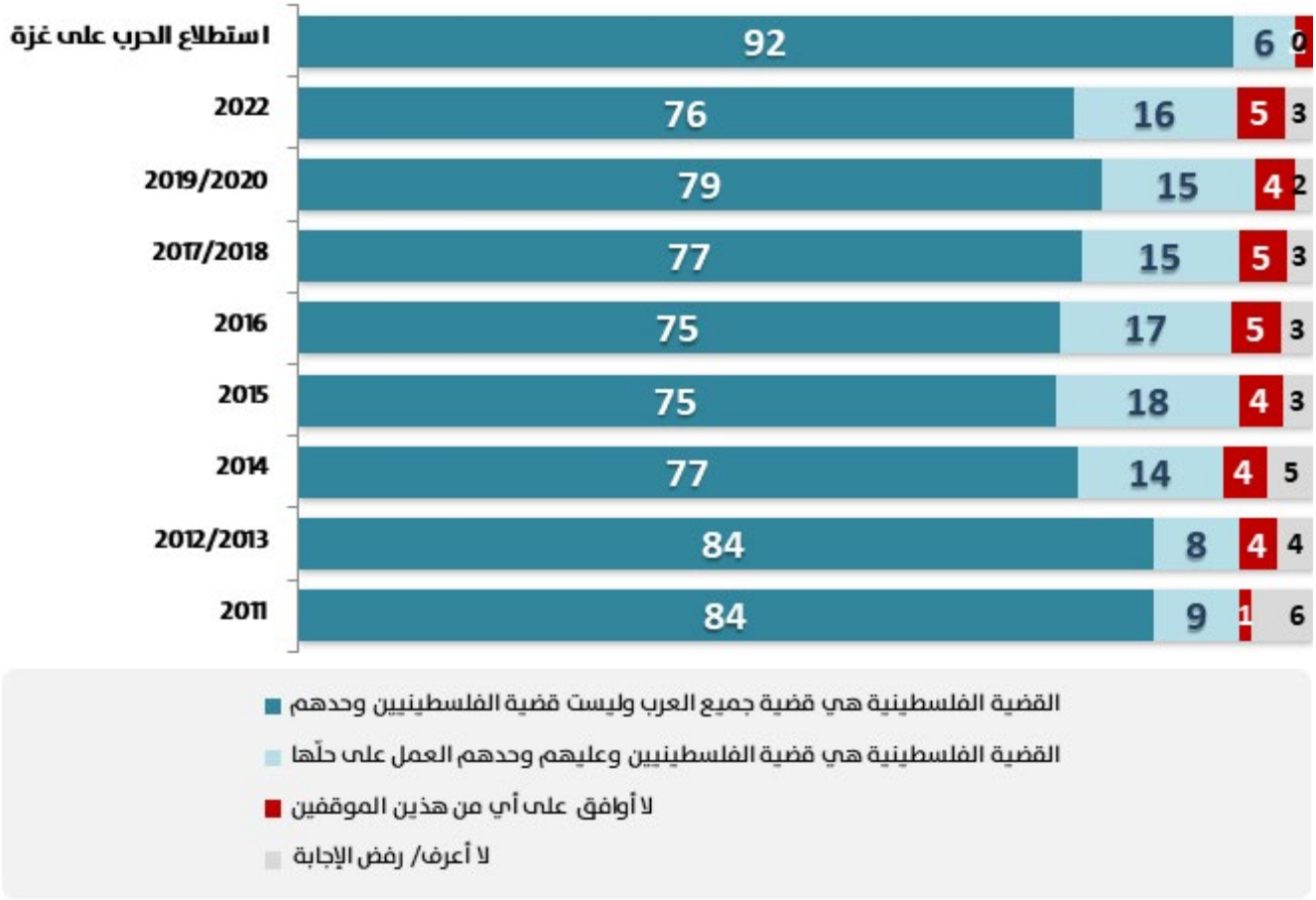

وعلى صعيد آخر، تجسّد الموقف الداعم للقضية الفلسطينية في تبنّي أغلبية كبيرة (84%) من المستجيبين مقولة إنّ عملية 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023 التي نفّذتها حركة حماس كانت عملية مقاومة مشروعة، على الرغم من إقرار 19% منهم بأنّ العملية قد شابتها بعض الأخطاء. ويعبرّ هذا الموقف عن رفض واضح للسردية الإسرائيلية التي سعت إلى إخراج العملية من سياقها وإظهارها عملًا إرهابيًا بحتًا، وهو ما تجلى في تبنّي المسؤولين الإسرائيليين مقولة إنّ حماس هي «داعش»، وهو ما رفضته أغلبية المستجيبين الذين تبنّى 67% منهم مقولة إنّ حماس تختلف كليًّا عن «داعش»، في حين قال 15% إنّ حماس تختلف اختلافًا كبيرًا عن «داعش». ويلاحظ هنا أنّ النسب الأعلى من المستجيبين الذين قالوا إنّ عملية حماس قد شابها بعض الأخطاء كانت في مصر (54%) والعراق (40%). ويمكن تفسير النسبة في مصر، جزئيًا، بموقف الحكومة المصرية وقطاعات من المجتمع المصري من حماس وعلاقتها بالإخوان المسلمين، في حين أن النسبة في العراق قد تعكس مزاجًا

شعبيًا يميل إلى الفصل أكثر بين المقاومة المشروعة والعنف غير المشروع، وهو مزاج تأثّر بتجربة «داعش» وكذلك بطبيعة نشاط الفصائل الشيعية المسلحة هناك.

فضّل 67% من المستجيبين القول إنهم يتضامنون مع الشعب الفلسطيني في قطاع غزة وحركة حماس، في حين قال 23% إنّهم يتضامنون مع الشعب الفلسطيني في غزة ويختلفون مع حركة حماس. وعند تفحّص النتائج في كل بلد، سنجد أن المستجيبين في موريتانيا سجّلوا النسبة الأعلى في تفضيل المقولة الثانية (67%)، وهو أمر يتصل على الأرجح بالوضع الخاص لموريتانيا من ناحية التركيبة الإثنية والهوياتية.

الشكل (2)

منذ بدء الحرب على غزة إلى الآن، ما العبارة التي تعبّر عن رأيك؟

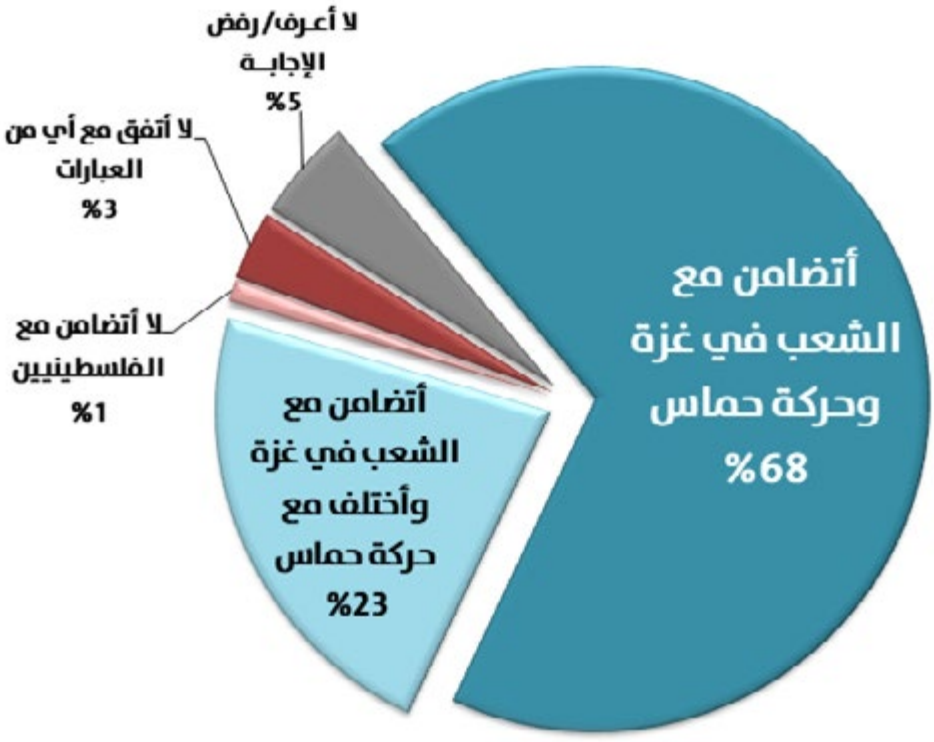

من الواضح أنّ الأغلبية التي تبنّت المقولة الأولى لم تنطلق من حالة تماهٍ أيديولوجي مع حركة حماس، بل نظرت إليها في هذا السياق باعتبارها حركة مقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي وعدوانه، وهو ما يتكشّف عند إجابة المستجيبين عن سؤال حول الأسباب التي قادت إلى عملية 7 تشرين الأول/ أكتوبر، حيث كان ميل أغلب المستجيبين إلى ترجيح الأسباب السياسية لا الأيديولوجية، فقد ذكر 35% أنّ السبب الرئيس هو استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، ونحو 24% رجّحوا أسبابًا سياسية أخرى مثل استمرار الحصار على قطاع غزة، أو الاستيطان، أو تحرير المعتقلين، أو الرفض الإسرائيلي لإقامة دولة فلسطينية. إذًا، أكثر من 70% من المستجيبين رجّحوا أسبابًا ذات طابع سياسي، في حين قال 24% فقط إنّ السبب هو الدفاع عن المسجد الأقصى (وما ينطوي عليه من رمزية دينية). وما يؤكد هذا الاستنتاج أنّ استطلاع عام 2022 كشف عن أنّ نسبة 5% فقط ترفض الاعتراف بإسرائيل لأسباب دينية، وهو ما يفنّد السردية التي تروّج لها أوساط إسرائيلية أو غربية عن البعد «اللاعقلاني» للموقف الشعبي العربي من إسرائيل والقضية الفلسطينية.

الجدول (1)

اتجاهات الرأي العام العربي نحو أهم الأسباب التي دفعت حماس إلى القيام بالعملية العسكرية في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023 بحسب البلدان

	الكويت	لبنان	تونس	اليمن	عُمان	الأردن	ليبيا	موريتانيا	قطر	العراق	الجزائر	السعودية	المغرب	السودان	مصر	فلسطين/ الضفة	المعدل
استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية	50	43	36	35	35	34	34	34	33	33	33	33	33	32	31	24	35
الدفاع عن المسجد الأقصى	16	16	24	26	26	26	22	25	26	22	20	20	17	20	26	45	24
استمرار الحصار على قطاع غزة	7	9	5	9	8	9	8	7	10	5	9	11	7	8	6	16	8
استمرار الاستيطان واتساعه في الأراضي الفلسطينية	6	5	7	7	4	2	5	7	11	4	7	2	5	9	4	4	6
تحرير المعتقلين والأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية	4	6	9	6	5	5	7	7	3	6	6	3	6	7	4	8	6
رفض إسرائيل إقامة دولة فلسطينية	4	4	2	3	4	3	4	5	3	4	6	1	4	5	5	0	4
فشل الولايات المتحدة في تحقيق سلام عادل	2	1	3	2	2	2	2	2	2	4	2	2	1	6	2	2	2
عدم اهتمام المجتمع الدولي بحقوق الفلسطينيين واستمرار الاحتلال	4	3	4	3	3	3	5	3	4	5	4	2	5	7	4	0	4
وقف مسار تطبيع الحكومات العربية مع إسرائيل	1	1	3	2	2	0	3	1	1	2	3	1	2	2	2	0	2
تنفيذ لخطة أو أجندة جهة خارجية مثل إيران	2	5	2	1	2	1	1	3	1	5	1	4	3	2	2	1	2
أخرى	1	3	1	3	1	11	1	0	0	3	4	5	5	0	4	0	2
لا أعرف/ رفض الإجابة	3	4	4	3	8	4	8	6	6	7	5	16	12	2	10	0	5
المجموع	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100

ثانيًا: تنامي رفض السلام والتطبيع مع إسرائيل

كانت إحدى نتائج الحرب على غزة تنامي الرفض الشعبي العربي للتطبيع مع إسرائيل وميل الجمهور العربي إلى التشكيك في إمكانية إقامة سلام معها. فقد عارض 89% من المستجيبين اعتراف بلدانهم بإسرائيل، وهي نسبة قريبة من تلك التي سُجّلت في عام 2022 والتي بلغت 84%. لكنّ الملاحظ هنا ارتفاع النسبة في السعودية من 38% عام 2022، إلى 68% في استطلاع الحرب على غزة، مع تراجع نسبة الذين رفضوا التعبير عن موقف، من 57% إلى 29%، وهو ما يشير إلى أنّ الحرب الإسرائيلية زادت من القناعة الشعبية السعودية برفض الاعتراف بإسرائيل وشجّعت على التصريح بهذا الموقف. وفي المغرب، ارتفعت النسبة أيضًا بين الاستطلاعين من 67% إلى 78%، وفي السودان من 72% إلى 81%. أما البلد الوحيد الذي يبدو أنّه سجّل تراجعًا فهو الأردن، حيث كانت النسبة 94% في استطلاع عام 2022، في حين سجّل استطلاع الحرب على غزة نسبة 83%، ولكنها تظل تعبّر عن موقف أغلبية ساحقة. وبحساب هامش الخطأ المحتمل، فقد لا يعكس هذا الانخفاض تحولًا مهمًا في الرأي العام الأردني، خصوصًا بالقياس بالمواقف الأخرى التي عبّر عنها المستجيبون الأردنيون، حيث قال 95% إنهم يعتبرون القضية الفلسطينية قضية العرب جميعًا، وهي نسبة أعلى من المعدل العام (92%)، وقال 80% إنّهم يتضامنون مع شعب غزة وحركة حماس، وهي نسبة أعلى من المعدل (69%).

وبخصوص السؤال عن مدى إمكانية إقامة سلام مع إسرائيل، فقد أفاد 73% من المستجيبين أنّهم إمّا متأكدون من عدم إمكانية ذلك أو بات لديهم شك كبير في إمكانيته، وهنا سجّلت الأردن ولبنان النسبة الأعلى (81%)، وهو أمر مهم نظرًا إلى أن البلدين مجاوران لإسرائيل. وسجّلت الضفة الغربية النسبة الأعلى بين من يقولون إنّه لم تكن هنالك أصلًا إمكانية لإقامة السلام حتى قبل الحرب على غزة، وهو أمر مفهوم بسبب تماسّ سكانها المباشر بإسرائيل وتأثرهم بتوسع المستوطنات وسياسات حكومة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو اليمينية. إضافة إلى ذلك، سجّلت الضفة الغربية النسبة الأعلى بين العينات الوطنية من المستجيبين الذين استبعدوا إمكانية السلام مع إسرائيل، فبلغت 94%، ما يعكس درجة اليأس من مشروع السلام التي فاقمتها الحرب على غزة. وفي الوقت نفسه، قال 80% من مستجيبي الضفة إنّ إسرائيل لن تنجح في إحداث نكبة جديدة، وهو ما يشير إلى أنّ اليأس من إمكانية السلام لم يُترجم إلى شعور بالهزيمة وبعدم جدوى المقاومة.

ومن الملاحظ أن السودان سجّلت النسبة الأعلى من المستجيبين الذين قالوا بإمكانية إقامة سلام مع إسرائيل (20%)، تليها المغرب (19%) والعراق ومصر (17%). وعلى الرغم من أنّ هذه النسب تظل متدنية، فإنها تعبّر من جهةٍ عن الطابع الإثني والهوياتي، حيث توجد أقليات غير عربية كبيرة في السودان والعراق، أو تعكس السياسات الحكومية والعلاقات الجيدة لهذين البلدين مع الغرب، ومن جهة أخرى فهي تعبّر عن التطلع إلى الاستقرار والتركيز على القضايا الاقتصادية في المغرب ومصر. لكن على أيّ حال، فإنّ اللافت هنا ليس كون هذه النسب عالية، بل كونها متدنية جدًا في بلدان ارتبطت باتفاقات سلام أو تطبيع مع إسرائيل (مصر والمغرب والسودان)، فضلًا عن أنّ بلدين آخرين اتجهت الجهود الأميركية نحو تشجيعهما على التطبيع مع إسرائيل، وهما السعودية وعُمان، كانت فيهما نسبة عالية من المستجيبين الذين قالوا إنّهم متأكدون من عدم إمكانية إقامة السلام مع إسرائيل أو صار لديهم شك أكبر في ذلك (71%).

من المهم الإشارة هنا إلى أنّ أقلية صغيرة بين المستجيبين دعمت خيارات ذات طابع عسكري للتعامل مع العدوان الإسرائيلي، حيث دعم 5% فقط خيار التعبئة العسكرية من طرف الحكومات العربية، و8% فقط فضّلوا خيار تقديم مساندة عسكرية لغزة، في مقابل نسب أعلى فضّلت اعتماد إجراءات سياسية، حيث دعم 36% خيار قطع كل العلاقات الدبلوماسية أو عمليات التطبيع مع إسرائيل، و14% خيار إدخال المساعدات إلى قطاع غزة من دون موافقة إسرائيلية، و11% خيار استخدام سلاح النفط. إجمالًا، حصلت الخيارات السياسية على دعم 80% من المستجيبين. ويشير هذا، من جهة، إلى أنّ الرأي العام العربي يخشى توسّع رقعة الصراع

المسلح، ولا يجد في خيار الحرب الشاملة بديلاً مناسبًا، ومن جهة أخرى، لا يرى وجود إمكانية لحل عسكري، وأنّ الأدوات السياسية قد تكون هي الأسلم لوقف الحرب. لكن في العموم، أظهرت الإجابات هنا عدم تبلور تصور محدد ومُجمَع عليه بين أغلبية المستجيبين حول الخيارات السياسية المتاحة، ما يعكس نسبيًا عجز الإطار الرسمي العربي عن بلورة مثل هذه الخيارات وطرحها بدائل سياسية، في مقابل تبنّي الجماعات المنضوية في المحور الذي تقوده إيران شعار «المقاومة المسلحة» وتفعيله بمستوى متدنٍ في الشدة، لكن من دون أفق سياسي واضح.

الجدول (2)

في رأيك، ما أهم إجراءين يمكن أن تقوم بهما الحكومات العربية من أجل وقف الحرب على غزة؟

	أهم أول إجراء	أهم ثاني إجراء
إلغاء كل العلاقات أو عمليات التطبيع مع إسرائيل	36	15
إدخال المساعدات إلى غزة من دون موافقة إسرائيلية	14	16
استخدام سلاح النفط من أجل الضغط على إسرائيل ومؤيديها	11	13
إنشاء تحالف عالمي لمقاطعة إسرائيل	9	11
تقديم مساندات عسكرية لغزة	8	10
إعلان التعبئة العسكرية	5	6
إعادة النظر في علاقاتها مع الولايات المتحدة	4	6
إعادة النظر في علاقاتها مع الدول التي تؤيد حرب إسرائيل على غزة	3	5
التقرّب والتحالف مع الدول التي اتخذت مواقف عملية ضد الحرب على غزة	3	4
أخرى	3	2
لا أعرف/ رفض الإجابة	4	0
لا يوجد رد آخر	0	12
المجموع	100	100

ثالثًا: تصاعد الموقف السلبي من الولايات المتحدة

من أبرز نتائج استطلاع الحرب على غزة تنامي الموقف السلبي تجاه الولايات المتحدة وسياساتها في المنطقة، ولا سيّما تجاه القضية الفلسطينية. وفي هذا الصدد، صنّف 94% من المستجيبين الموقف الأميركي تجاه الحرب على غزة بأنّه «سيّئ»، من ضمنهم 82% وصفوه بـ«سيئ جدًا». ولم يشذّ عن هذا الموقف أيٌّ من عينات المستجيبين، بما في ذلك من بلدان ترتبط بعلاقات وثيقة مع الولايات المتحدة، مثل السعودية (91%)، والأردن (95%)، والكويت (94%).

وإضافة إلى ذلك، قال 76% من المستجيبين إنّ موقفهم أصبح أكثر سلبيةً نحو سياسات الولايات المتحدة في المنطقة، وهو مؤشر مهم، خصوصًا في سياق التنافس بين الولايات المتحدة والقوى الدولية الصاعدة مثل

الصين، وفي ظل سعي واشنطن لإعادة ترتيب انخراطها في المنطقة الذي استعجلت فهمه بعض الأطراف على أنّه انكفاء أميركي. لكن بقدر ما أثبتت الحرب على غزة محورية الدور الأميركي في المنطقة، وكونه عاملًا حاسمًا في تيسير التعنت الإسرائيلي وإدامته، فإنّها أيضًا برهنت على أن السياسة الإسرائيلية تشكّل عبئًا على الأميركيين وتتسبب في تخريب محاولاتهم إعادة ترتيب تموضعهم في المنطقة وتقليل تكلفة الانخراط في شؤونها من جهة، ومن جهة أخرى تتسبب في خسائر بعيدة المدى على مستوى سمعة الولايات المتحدة ومقبوليتها في المنطقة. سنجد هنا أنّ المستجيبين في بلدان حليفة للولايات المتحدة عكسوا رأيًا لا بد من أن يشكّل مصدر قلقٍ لصانع القرار الأميركي، حيث قال 70% من المستجيبين في السعودية و83% في الكويت و76% في قطر و69% في عُمان إنّ موقفهم من الولايات المتحدة وسياساتها في المنطقة صار أكثر سلبيةً. واستنتج 65% من المستجيبين أنّ موقف الولايات المتحدة سيضر بمصالحها، وقال 72% إنّه سيضر بصورتها.

واتصالًا بذلك، قال 51% من المستجيبين إنّهم يعتقدون أنّ الولايات المتحدة هي البلد الأكثر تهديدًا للمنطقة، وحلّت إسرائيل ثانيًا بنسبة 26%، وربما يعكس هذا الموقف تصورًا مفاده أنّ التهديد الإسرائيلي لا يمكن النظر إليه بمعزل عن الدعم والغطاء الأمريكيَين، وأنّه يظلّ متموضعًا في منطقة جغرافية محددة. في حين يميل بعض المستجيبين إلى ربط الدور الأميركي في الصراع مع إسرائيل بقضايا ومناطق أخرى، مثل العراق وسورية والخليج العربي والبحر الأحمر، يكون فيها الوجود الأميركي مصدرًا للتوتر، وهنا يُسقط المستجيبون منظورًا كليًا على السياسة الأميركية، على الأقل وفق قناعات بعض الشرائح الاجتماعية الميّالة غالبًا إلى سرديات مبسطة. يرتبط الموضوع طبعًا بتراث طويل خلّفته المرحلة الكولونيالية من الشك في الغرب، وكرّسه الانحياز الأميركي إلى إسرائيل. ولذلك، فإنّ الاستطلاعات السابقة أظهرت أنّ الولايات المتحدة كانت دائمًا في الصدارة إلى جانب إسرائيل بوصفهما البلدين الأكثر تهديدًا للمنطقة. وما يمكن ملاحظته هنا أنّ نسبة من صنّفوا إيران باعتبارها البلد الأكثر تهديدًا للمنطقة قد تراجع إلى أدنى مستوياته (7%)، وهو استمرار لنمطٍ لوحظ في الأعوام الأخيرة (حيث سُجلت النسبة نفسها في استطلاع عام 2022)، ولكنه ترافق هذه المرة مع تصور إيجابي نوعًا ما تجاه الموقف الإيراني من الحرب على غزة، حيث صنّف 47% من المستجيبين الموقف الإيراني أنه «جيد»، وهي نسبة مطابقة لتصنيفهم الموقف التركي، وقال 37% فقط إن الموقف الإيراني «سيئ»، وهي نسبة لافتة إذا قارنّاها باستطلاع عام 2022 حيث وصف 52% من المستجيبين السياسة الإيرانية نحو فلسطين بالـ «سيئة».

وفيما يمكن اعتباره توضيحًا لتنامي الموقف السلبي تجاه الولايات المتحدة، فقد أشار 50% من المستجيبين إلى أنّهم يعتقدون أنّ الدعم العسكري والسياسي الأميركي هو السبب الرئيس في التعنت الإسرائيلي، في حين أشار 81% إلى أنّهم يعتقدون أن الولايات المتحدة غير جادّة في العمل على إقامة الدولة الفلسطينية في الأراضي المحتلة. ومن الواضح هنا أنّ هناك قناعة كبيرة بوجود انحياز أميركي يجعل الولايات المتحدة، من جهة، غير قادرة على ممارسة الضغط الكافي لإجبار إسرائيل على تغيير مواقفها (وهو ما عكسه فعليًا إعلان نتنياهو أنّه يرفض خيار حل الدولتين، في الوقت الذي تسعى فيه إدارة بايدن إلى إعادة طرحه مخرجًا بعيد المدى في نقاشات اليوم التالي للحرب على غزة)، ومن جهة أخرى، لا تمثل الولايات المتحدة بانحيازها هذا وسيطًا نزيهًا يمكن التعويل عليه للوصول إلى حلّ طويل الأمد، وهو ما أكدته التجارب السابقة منذ تعطيل نتنياهو لمسار أوسلو. وتبدو هذه القناعة مبرَّرة في ضوء الاحتمال الكبير لمجيء إدارة أميركية جمهورية بعد الانتخابات المقبلة في تشرين الثاني/ نوفمبر 2024، خصوصًا أنّ المرشحين الرئيسين للحزب الجمهوري تجاوزوا موقف الانحياز إلى حالة التماهي مع السياسة الإسرائيلية، بما في ذلك خيارات اليمين الإسرائيلي الذي لا تبدو إدارة بايدن شديدة الانسجام معه.

خاتمة

يعبرّ استطلاع الحرب الإسرائيلية على غزة، بالتأكيد، عن محطة زمنية مشحونة بالعواطف نتيجةً للحرب والجرائم الكبرى التي ارتكبها الاحتلال ضد المدنيين الفلسطينيين خلالها، ولذلك، يمكن توقّع أن تشهد المواقف التي عبرّ عنها المستجيبون تغيرًا نسبيًا بعد نهاية الحرب. لكن في ضوء المقارنة بنتائج الاستطلاعات السابقة، لا يُحتمل أن يكون هذا التغير جوهريًا. ستكون هنالك عوامل أساسية في إعادة تشكيل تلك المواقف مستقبلاً، من بينها مدى قدرة الولايات المتحدة على ضبط السلوك الإسرائيلي واستئناف مسار جدّي للسلام، ومستقبل حركة حماس بعد الحرب، ومسار التطبيع بين الدول العربية وإسرائيل.

لا يعكس الاستطلاع بوضوح الفجوة التقليدية بين الأنظمة والشعوب العربية بخصوص القضية الفلسطينية، وربما كانت ستتوافر إجابة واضحة عن ذلك لو طُرح سؤال مباشر على المستجيبين بخصوص تقييمهم لمواقف حكوماتهم. ولو تمتّع المستجيبون بالحرية الكافية للإجابة عنه لعكست النتائج هذه الفجوة (وهو أمرٌ مشكوك فيه في معظم البلدان العربية، ومن المرجح أنّه سيدفع نسبة كبيرة من المستجيبين إلى الامتناع عن التعبير عن رأيها، ما يفسر قرار منظّمي الاستطلاع عدم طرحه). لكن الإجابات عن الأسئلة الأخرى تشير إلى أنّه في حين يبدو موقف الرأي العام العربي أكثر تقدمًا من حكوماته من ناحية التعاطف مع الشعب الفلسطيني وقضيته، فإنه تأثر أيضًا بغياب مشروع عربي محدد المعالم والغايات للتعامل مع القضية الفلسطينية، خصوصًا أن الاستقطاب بين محورٍ من الفصائل والميليشيات المسلحة المرتبطة بإيران والتي تتبنّى منهج العمل المسلح، ومحور الدول العربية التي تسعى إلى التطبيع وتُبدي استعدادًا لتصفية القضية الفلسطينية، ترك هامشًا محدودًا لخيار ثالث ذي صدقية ولديه عناصر القوة لفرض نفسه.